

رحلة الصوم المقدس

"لأنني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما مايقوله يكون فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فأمنوا أن تنالوه فيكون لكم. ومتى وقفتم تصلون فأغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم". (مر ١١ : ١٢ - ٢٦) عشية أحد الرفاع

رحلة الصوم الكبير

قصد الله في حياتنا:

ينبغي أن يكون أصوامنا وعبادتنا داخل إطار القصد الإلهي في حياتنا. الإنسان سقط بمخالفة الوصية، وصارت طبيعته فاسدة. الله من أجل خلاص الإنسان، الله بأقصى طاقات محبته وبذله أرسل ابنه الوحيد لأجل خلاص الإنسان، نزل الله أرضنا أخذ طبيعتنا والتحم بنا.. سار معنا في طريق الخلاص، أعتمد في الأردن، صام، جرب، عمل.. حمل الصليب.. ذاق الموت، قام وأقامنا معه، وصعد وأصعد باكوراتي إلى السماء.

إن تكاليف خلاصنا أقصى من أن يتصورها عقل بشري. الله أراد خلاصي من الخطية، وحررتني من عبودية إبليس.. ليس ذلك فقط بل يريدني أن أكون ابناً له، وابتناً ناجحاً وقديساً. وهبني روحه القدوس، وأعطاني جسده ودمه. كل أب يريد أولاده يكونون عظماء جداً ومن أجل ذلك يضحى في تربيتهم بكل شيء، والله يريدنا أن نكون أولاده

القديسين، ونكون كاملين "كونوا كاملين كما أن أباكم هو كامل".

الله لا يريدني أن أكون انساناً مثالياً فقط، بل يريدني أن أكون ابنه.. هو يرحمني دائماً ويطعمني بجسده ودمه. لذلك لو لم نعط الفرصة أمام الله ليحقق قصده فينا، نكون قد خيبنا أمل الله فينا. وهذا أشد ما يحزن قلب الله. في هذه الحالة نحن لا نضع التعدي فقط بل كأولاد نغيظه ونسيئ لسمعته ولإسمه. الله يعرف ضعفي لذلك نزل وأعطاني ذاته لأحيا به، الله يعلم أنني ضعيف لذلك لم يرسل لي وصايا بل أرسل لي ابنه. الخلاصة: الله يريدني أن أكون ابناً قديساً له. ولو أن المسيحية تتطلب أن يكون الإنسان فقط انساناً أخلاقياً تكون المسيحية عبارة عن فلسفة أو دعوة فكرية، إنما المسيحية هي حياة السيد المسيح في أولاده.

الله لا يحاسبنا على كثرة خطايانا، بل على عدم توبتنا، كقول القديس نيل السينائي. قصد الله في حياتنا أن

يخطبنا عروساً عفيفاً له، ومَن لا يريد أن يكون عروسة جميلة وأروع ما يمكن؟!!!

في حزقيال (ص ١٦) يتكلم كيف يسعى الله بكل طريقة لتجميلي " .. كنت مطروحة على وجه الحقل.. لم تشفق عليكِ عين.. فمررت بكِ.. وحممتكِ بالماء وغسلت عنكِ دماءكِ، ومسحتكِ بالزيت.. وحلقتكِ بالذهب، وأكملت السמיד والعسل والزيت، وجملت جداً جداً فصلحت لمملكة.. وأنا أقيم عهدي معكِ فتعلمين أني أنا الرب لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاكِ بسبب خزيكِ حين أغفر لكِ كل ما فعلتِ يقول السيد الرب" (حز ١٦).

ماذا يريد الله مني؟

يريدني ابناً له، أسلك في طريقه، لي ملامحه، رائحته، وصورته. وفي قوته، ووداعته.. الخ.

يريدني عروساً له، عذراء عفيفة، عذراء في الفكر والقلب. الفكر المحصور في المسيح مركز حياة العالم كله، والقلب الغير دنس المكرس لله.

يريدني شريكاً في الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤) هذا هو قصد الله، وأنا بنعمة الله **"أسعى لعلني أدرك الذي لأجله أدركني المسيح"** (في ٣ : ١٢). وهذا هو قصد الصوم الذي نحن الليلة على عتبته.

مطلوب مني أن أكون طاهراً وهذا ليس من طبعي، ولا من إمكانياتي بل من طبيعة الله وحده الذي "طهرنا بروحه القدوس"

مطلوب أن أنمو في المحبة إلى مستوى الخد الأيسر والميل الثاني، وهذا ليس من إمكانياتي بل من قدرة يسوع الذي يهبني ذاته لأعمل أعماله.

الإيمان في بداية الصوم:

الوصية صعبة، والعالم قال عنها أنها خيالية، والحقيقة هي صعبة جداً على الإنسان. ولكن سهلة جداً على المسيح الحي في الإنسان، وهذا هو سر مسيحيتنا. نحن لا ننفذ الوصية بجهدنا بل المسيح الحي فينا. **"اثبتوا في"**. وبذلك نحن نقدر أن ننفذ أصعب وصية **"أستطيع كل"**

شيء في المسيح الذي يقويني، أقدر أن أنفذ الوصية المسيحية **"لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"**. وهذا هو إيماننا الذي يكلمنا عنه المسيح الليلة ويقول: **"حينما تصلون فأمنوا أن تنالوه فيكون لكم"**.. بداية الصوم هو اكتشاف لهذه الحقيقة الإيمانية المهمة. القديس أبو مقار رأى منظر خطية ولم يدن أخاه بل سقط على وجهه وصلى، (فسمع صوتاً يقول له: لقد صرت مثل الله يا أبو مقار ترى عيوب الناس وتستر عليهم).. وآخر في المجاعة أعطى آخر رغيف معه لإنسان سائل.. فمن أجله أنزل الله المطر.

هيا بنا يا أخوة نصوم ونعمل أعمال المسيح بقوة المسيح ونصير قديسين ونوراً للعالم.. ونكون مثله لأننا سنراه كما هو.. ولا نكون أقل من ذلك أبداً.

ما هو الصوم؟

الله صام بعد العماد.. الصوم مع الصلاة وسيلة يوصلني بالإيمان إلى اتمام قصد الله فيّ، ومَن منا لا يريد أن لا يتم

قصد الله فيه؟ المسيح بذاته صام. صام عني فوفر لي رصيماً من الصوم وعرفني أنه سيكون شريكاً لكل صائم في طريق رحلة صومه. الله رسم لي الطريق وأيضاً هو شريكي في الطريق.. ليس الصوم تعذيباً للجسد بل انطلاقاً للروح، للسير في معية الرب يسوع في رحلة الخلاص حتى إلى جثسيماني، ثم إلى الجلجثة، ثم إلى فجر القيامة، ومجد الصعود الإلهي.. إلى اتمام قصد الله فيّ أمين.

أسبوع الاستعداد:

الصوم مهم جداً ويحتاج لأسبوع نصوم فيه لنستعد لصوم الأربعين. نحن نصوم ٥٥ يوماً: (٤٠ يوماً صامها الرب + أسبوع الاستعداد + أسبوع الآلام). الموضوع خطير جداً، يعني لو لم أصل في نهاية الصوم إلى اتمام قصد الله فيّ يبقى كأني لم أصم، لذلك نحن نستعد له هذا الأسبوع.

في أسبوع الاستعداد في كنيسة السريان يقف الكاهن وينبه الشعب ويقول الصوم سيبدأ الأسبوع القادم.. كل واحد بسرعة في هذا الأسبوع يصلح أخاه لئلا يفقد صيامه. كل

واحد هذا الأسبوع يتوب.. بالضبط هذا الأسبوع هو فترة تجهيز لرحلة الصوم. كان آباؤنا الرهبان (كما ذكر في قصة مريم المصرية) يبدأون صومهم ويستعدون في هذا الأسبوع ويأخذون زادهم ويتفرقون في وسط البرية أربعين يوماً في عبادة عميقة. ولا يرون وجه بعض إلا في أسبوع الآلام، وفي قداس العيد.

+ كنيسةنا القبطية ترنم هذا الأسبوع وتقول:

المحبة هي أساس البنیان والتواضع يقوي أركانه. فالمحبة هي أساس للرحلة.. والتواضع هو حصن طول الطريق.

+ والتجهيز للرحلة يحمل معنى تصفية الأركان الضعيفة بنعمة المسيح.. تصفية الشهوات، تصفية محبة العالم، تصفية محبة الذات، تصفية الكسل والفتور، تصفية البغضة والكراهية..

+ والتجهيز للرحلة هو عمل حساب التكاليف أي الاستعداد لحمل الصليب "مع المسيح صلبت" فالسير في الطريق مع المسيح يعني الاستعداد لحمل الصليب معه..

مَن أراد أن يكون لي تلميذاً ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.. فالصوم هو الصليب الذي نحمله بفرح ولذة لأنه طريق الخلاص فالتجهيز للرحلة هو عمل حساب التكاليف لئلا نخور في الطريق.. هو السير وعدم النظر للوراء مهما أغرانا الشيطان. أنا أسير مع المسيح حاملاً الصليب، لأنني إن كنت أتألم معه أتمجد أيضاً معه (رو ٨ : ١٧)، ولكي أشارك إلهي في حمل صليب البشرية مع سمعان القيرواني.. صليب المحبة للجميع والتضحية من أجلها، صليب تنفيذ وصية يسوع ربنا إلى النهاية، صليب الحفاظ على الطهارة إلى الذبح.

الأحد الأول:

وضوح الرؤيا وعدم التعرّيج بين الفرقتين. فالإنسان لا يمكن أن يعبد رين الله والمال، المال رب!!

+ **في أول الرحلة الله يسألني:**

أنت تعبد كم إله؟ هل بالحقيقة تؤمن بالله واحد؟.. الله
أم المال؟ الله أم الجسد؟ الله أم اللبس؟ الله أم المظاهر؟
الله أم الذات؟!

+ **والتعليمات الأولى في هذه المرحلة هي:**

١- وضوح الرؤيا **"اطلبوا ملكوت الله وبره (فقط)"**.

٢- لا تهتموا بالغد.

هذه تعليمات أساسية للسائرين في رحلة الصوم.. إنهم
يطلبون ملكوت الله وبره.. والباقي يزداد، هم يسيرون بلا هم.
فالله هو حياتهم ونور طريقهم وقوتهم ومعونتهم.. إنها
خطوات ثابتة وقوية نحو الحياة الأبدية التي نعيشها الآن
بلا هم وبلا تعريج.

الأحد الثاني:

التجربة في الطريق: الجهاد طبيعة كل إنسان يريد أن
يحصل على شيء ثمين. الحرب تكون ثقيلة عندما يكون
المقصود منها الحرب لذاتها. ولكن إذا كان الهدف منها

النمو الروحي والثبات في الله فهي حرب لذيذة. والحرب لذيذة لأن النصر أكيدة لأن الرب يسوع انتصر لي، وأنا به أنتصر. هي حرب مع عدو شرس سبق أن غلبه الرب. حارب المسيح بالأكل، وحاربه بالكبرياء قائلاً ارم نفسك عن جناح الهيكل، وأخيراً حاربه بترك الصليب ونهج الطريق السهل قائلاً: أعطيك ممالك الأرض كلها إن خررت وسجدت لي بدل أن تملك على قلوب البشر بالصليب.. أرم صليبك وتعلم الميوعة في الحياة.. ولكن ربنا انتصر لنا.

اليوم الكنيسة في حالة حرب.. وهذه ملامحها، مثلاً ماذا يغيب الشيطان أكثر من الصوم؟ **"هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم"**، هل تعلم أن جميع كنائس الغرب تقريباً أهملت الصوم مع مواظبتها على الاجتماعات.. ويوجد طبقات للكتاب المقدس الآن غيرت كلمة "يصوم" بكلمة "يمتنع عن الأكل" الشيطان أيضاً يدخل طرق العالم في الكنيسة، محبة المال، اللف والدوران تحت اسم الحكمة، والغاية تبرر الوسيلة، والكذب الأبيض.. ثم يدخل

العالم البيت وبدل أن يسمع الطفل صوت الترتيل والعبادة يسمع التلفزيون ويرى الصور الخلية وأيضاً تأثير الشارع والمدرسة.. البنت المسيحية محاصرة في وسط اغراءات العالم.. وتسمع في كل مكان عن مغامرات الشر. وترى المجلات. الحق أن أولادنا في جب الأسود.. جب الأسود أرحم.. لكن دانيال سد أفواه الأسود بالصوم والصلاة.. إنها حرب عنيفة لا يمكن ضمان سلامتنا في الرحلة إلا بالصوم والصلاة مع الإيمان. ربنا قال لأرميا النبي: **"طوفوا في شوارع أورشليم.. هل تجدون انساناً أو يوجد عامل بالعدل، طالب الحق فأصفيح عنها"** (أر ٥ : ١). لو أن واحد يصوم صوماً حقيقياً ويبذل ذاته ربنا ينقذ الكنيسة كلها. لو أن واحد يكرس حياته في صمت وبذل يخزي الشيطان.

توجد حرب في كل مكان، في العائلة القبطية، أولادنا في الجامعة، توجد حرب الإلحاد، والانحراف الخلقي، الإيمان يتزعزع.. تأثير المادة، طلب الهجرة من أجل المال، من كثرة

الإثم تفتت محبة الكنيسة. لعل ابن الإنسان عندما يجئ يجد الإيمان على الأرض.. الكنيسة اليوم محاصرة بحرب عالمية. ويوجد كنائس في الغرب انهزمت وسلمت للعالم. نحن في الصوم نعمل عملية تعبئة عامة.. والموضوع في أيدينا لأن أسلحتنا قادرة بالمسيح يسوع على هدم حصون، واخضاع كل فكرة لطاعة المسيح.

فالصوم الكبير هو تعبئة عامة لمعركة كبيرة النصر فيها أكيدة، والرب يسوع معنا وقد انتصر لنا. لا يمكن أن نصطلح في هذه المعركة ولكن لا بد أن ننتصر.. والمسيح مذبح أمامنا على المذبح لكي يعلن لنا أن الجهاد ينبغي أن يكون للدم، أن النصر بالدم.

الأحد الثالث:

الصوم هو استمرار لفعل التوبة، والتوبة تعني القيام المستمر والارتقاء في حضن الآب.. حيث نكتشف قلب الله غير المحدود في المحبة، لذلك تقرأ الكنيسة لنا هذا الأسبوع عن الابن الضال.. حيث أقوم وأرجع إلى أبي. نحن

نتدمر على الله ونعتب ونقول ربنا تركنا والحقيقة نحن الذين نذهب إلى كورة الخنازير وعندما نرجع نكتشف حقيقة أبدية: إن محبة الله لا يمكن أن تنقص، بل على العكس يزداد تعمقنا في اكتشافها.

ما أجمل حزن الأب، ما أجمل قبلاته، وعدم تأففه من قدارتي.. هذه أجمل مشجع لي طول رحلتي وأثناء سقوطي.. من أجل ذلك أسير بخطوات قوية في التوبة لأن أبي ينتظرنى وقبلاته تشجعني، ودمه يطهرني والرحلة الأولى تنتظرنى..

والقصد من التوبة هو التعمق في اكتشاف أبعاد حب الله واتساع قلبه. فأنا بذرت أمواله التي أعطاني إياها من مواهب وعلم وصحة ومال.. الخ وأسرفتها في العالم.. كيف سيقابلني أبي، إنه يركض ويقع على عنقي ويقبلني.. ما هذا الحب!!!

والقصد من التوبة هو اكتشاف غنى بيت الأب، غنى الكنيسة. فيها الرحلة الأولى (المعمودية)، فيها الخاتم علامة

الشركة الدائمة مع الآب، وفيها العجل المسمن، هذه وليمة الألف سنة. (جسد الرب ودمه على المذبح).

ومن أجمل مميزات التوبة الفرحة.. وهذا الفرحة أكبر مشجع لي في الرحلة.. فرحة أولاد الله التائبين بأبيهم حول المائدة السماوية (المذبح) فرحة لا ينطق به ومجيد. إنها طبيعة الكنيسة التائبة. التي تعيش دائماً في الفرحة الدائم، والفرحة بالمسيح هو زاد الكنيسة في رحلة صومها وجهادها المقدس.

الأحد الرابع:

تقابل في الطريق وجهاً لوجه بين النفس البشرية المراوغة (السامرية) وبين رب المجد يسوع. النفس البشرية تبحث عن السعادة وتخيلت أن تجدها في الإكثار من شهوات العالم.. حتى إلى خمسة أزواج. اللقاء مع يسوع سجّل حقيقة هامة "إن النفس البشرية التي تعيش في شهوات العالم شبعانة ولكنها عطشانة".

المواجهة مع الله لابد أن تكون بالاعتراف. اعتراف المرأة أعطائها بركة الحصول على الماء الحي. الاعتراف يفضح مراوغة النفس السامرية. الاعتراف يكشف للنفس قذارتها في ضوء الروح القدس.

وبعد الاعتراف الارتواء. لابد في الصوم أن نرتوى من تيار الماء الحي. التأمل في كلمة الله ينبوع ماء حي متدفق..! الصلاة ينبوع متدفق، محبة المسيح ينبوع.. لتشرب وتفيض وتجري من بطوننا ينابيع ماء حية.

وبعد الاعتراف والارتواء السجود بالروح والحق. والكنيسة في رحلة الصوم تكثر من السجود. والسجود يحمل الانسكاب والخضوع لملكية المسيح فلنسجد كثيراً في فترة الصوم.

وبعد السجود الكرازة.. فالسامرية كارزة لحساب المسيح. ونحن كذلك يجب أن نتحول لكارزين للقائنا مع الرب يسوع وسجودنا أمامه.

السائرون في رحلة الصوم هم كارزون صامتون بعبادتهم
واتضاعهم وانسحاقهم..

الأحد الخامس:

تحذير من اليأس في الطريق. لا يأس ولا فشل بعد
المسيح.. فالمخلع قام وحمل سريه بعد ٣٨ سنة مرضاً
بعد ٣٨ سنة شللاً، بعد ٣٨ سنة خطية، ٣٨ سنة ضائعة.

إن ربنا يسوع لا يحسب السنين بل عندما نعرفه يجدد
مثل النسر شبابنا. نحن نقول احسبنا مع أصحاب الساعة
الحادية عشر. إن الحياة في المسيح لها جديدة كل يوم.

والمشاكل الخطيرة والضيقات تسبب لنا في المسيح
انطلاقة جبارة. إن الأنبا بولس البسيط ابتداء بعد ٦٠ سنة،
بعد خناقة مع زوجته الشابة الخائنة. وذهب إلى القديس
أنطونيوس الكبير، ووصل إلى درجته العالية في الصوم
والصلاة.. بعد ٦٠ سنة!

ليس في المسيحية شيخوخة ولا يأس، بل أمل متجدد..
هذا هو دستور سيرنا في رحلة الصوم. أمل وحياة جديدة في

المسيح وفرح وشجاعة وعدم يأس.. وانطلاقات روحية ونمو مستمر.. إنها رحلة لا تعرف التوقف أبداً.

الأحد السادس:

رؤية الله هو هدف الرحلة (المولود أعمى). هذا الأعمى كان محروماً من رؤية الأشياء المادية..

والآن أصبح له بصيرة يرى بها المسيح الذي انطمست عيون الفريسيين عن رؤيته.

في نهاية الصوم، الكنيسة تطالبنا بالرؤيا الروحية لله. الصوم ساعد على تنقية القلب. وأنقياء القلب يعاينون الله. هذه هي ثمار الصوم المقدس، تبدأ عيون قلوبنا الروحية ترى الله وترى إرادته في أحكامه وكل أعماله من حولنا، عندئذ نثبت نظرنا في المسيح ونسجد له كما فعل المولود أعمى.

الأحد السابع:

الدخول في شركة آلام ربنا وقيامته. وهذا هو نهاية الرحلة، رحلة الصوم توصلنا إلى رحلة جديدة أكثر تركيزاً في مشاركة

الرب يسوع في آلامه وقوة قيامته. هذه الرحلة تبدأ من
أورشليم إلى الجلجثة (وهذا هو موضوع النبذة القادمة).

خاتمة:

لقد كان القصد الإلهي من تجسد ربنا أن يغير طبيعتي
ويشاركني طبيعته الإلهية فأعمل أعماله: تواضعه، محبته،
تسامحه، غفرانه، بذله.. حتى أصير مثل المسيح تماماً،
وهذا هو موضوع جهاد الكنيسة طول الصوم. الكنيسة
تكلّمنا دائماً عن المحبة، وعدم الإدانة، والتسامح، والصوم
والصلاة وقبول التجربة بقلب مفتوح لله، وتكلّمنا عن
المياه الحية التي تشبع النفس.. حتى نصل في النهاية إلى
رؤية الله ثم مشاركته التي هي اتمام قصد الله فينا.

وأخيراً سيأتي العيد.. فمن صام صوماً مقبولاً ودخل في
آلام ربنا سيعيد عيداً روحياً ويتمتع بهجة قيامة الرب.
بينما تكون خسارة عظيمة للنفس التي ضيقت الصوم في
الكسل والفتور. الذين صاموا صوماً مقبولاً ستتغير حياتهم
إلى شكل المسيح القائم من بين الأموات، ويقولون بفرح

نحن قد قمنا مع المسيح.. قمنا من ضعفنا.. قمنا مع
المسيح بقوة عظيمة أمين.